(٨٦) سورة الطارق

في رحاب السورة الكريمة

سورة كريمة مكية آياتها سبع عشرة نزلت بعد سورة البلد، عالجت أمور العقيدة، ومحور السورة يدور حول الإيمان والبعث والنشور، بدأت السورة الكريمة بالقسم بالسماء ذات الكواكب الساطعة التى تضيء للناس طريقهم ليلا ليهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر على أن كل إنسان موكل به من يحرسه، ثم ساقت الأدلة والبراهين على قدرة رب العالمين، على إعادة الإنسان بعد موته، ثم أخبرت عن كشف الأسرار وهتك الأستار فى الأخرة حيث لا معين للإنسان ولا نصير له إلا عمله الصالح. وختمت السورة الكريمة بالحديث عن القرآن العظيم ومعجزته الخالدة إلى يوم الدين.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ۝ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ۝ ﴾

معاني المفردات:

الطارق: النجم الثاقب	النجم الثاقب: المضيء المنير.
حافظ: مهيمن ورقيب	ماء دافق: مصبوب يدفع فى الرحم
الصُّلب: ظهر كل من الزوجين	الترائب: أطرافها
رجعه: إعادته بعد فنائه	تبلى السرائر: تكشف المكنونات والخفيات

ذات الرجع: المطر لرجوعه إلى الأرض ثانيا

ذات الصدع: التيار الذى ينشق عنه قول فصل: فاصل بين الحق والباطل

فمهل الكافرين: أمهلهم ولا تستعجل للانتقام منهم

أمهلهم رويدا: قريبا أو قليلا ثم يأتيهم العذاب.

التفسير:

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴾ أقسم بالسماء وبالكواكب النيرة، التى تظهر ليلا وتختفى نهارا، قال المفسرون: سمى النجم الطارق لأنه إنما يظهر ليلا ويختفى نهارا، وكل ما يجئ ليلا فهو طارق، ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾ استفهام للتفخيم والتعظيم أى وما الذى أعلمك يا محمد ما حقيقة هذا النجم؟ ثم فسره بقوله ﴿ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾ أى النجم المضىء الذى يثقب الظلام بضيائه، قال الصاوى: قد كثر منُّه تعالى فى كتابه المجيد فذكر الشمس والقمر والنجوم، لأن أحوالها فى أشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها عجيبة دالة على انفراد خالقها بالكمالات، لأن الصنعة تدل على الصانع[1] ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ هذا جواب القسم أى ما كل نفس إلا عليها حافظ من الملائكة، يحفظ عملها ويحصى عليها ما تكسب من خير وشر، ثم أمر تعالى بالنظر والتفكير فى خلق الإنسان تنبيها على إمكان البعث والحشر فقال ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ أى فلينظر الإنسان فى أول نشأته نظرة تفكر واعتبار، من أى شىء خلقه الله ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ أى خلق من المنى المتدفق الذى ينصب بقوة وشدة، يتدفق من الرجل والمرأة فيتكون منه الولد بإذن الله ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ أى يخرج هذا الماء من بين الصلب وعظم الصدر من الرجل والمرأة[2] ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴾ أى إن الله تعالى الذى خلق الإنسان ابتداء، قادر على إعادته بعد موته، قال ابن كثير: نبه تعالى الإنسان على ضعف أصله الذى خلقه منه، وأرشده إلى الاعتراف بالإعادة لأن من قدر على البداءة فهو قادر على الإعادة بطريقة أولى ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴾ أى يوم تمتحن القلوب وتختبر، ويعرف ما بها من العقائد والنيات، ويميز بين ما طلب

---

(١) حشية الصاوى ٤/٣٠٩.

(٢) الصلب: فقار الظهر ويسمى سلسلة الظهر والترائب عظام الصدر – بالصلب عن الرجل وبالترائب عن المرأة.

منها وما خبث ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ أى فليس للإنسان فى ذلك الوقت قوة تدفع عنه العذاب، ولا ناصر ينصره ويجيره، ولما ذكر تعالى أمر المبدأ والمعاد، عاد فأقسم على صدق هذا الكتاب المعجز فقال ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴾ أى أقسم بالسماء ذات المطر الذى يرجع على العباد حينا بعد حين، قال ابن عباس الرجع المطر ولولاه لهلك الناس وهلكت مواشيهم[1] ﴿ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴾ أى وأقسم بالأرض التى تتصدع وتتشقق فيخرج منها النبات والأشجار والأزهار ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴾ إنَّ هذا القرآن لقول فاصل بين الحق والباطل، قد بلغ الغاية فى بيانه وتشريعه وإعجازه ﴿ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴾ أى ليس فيه شىء من اللهو والباطل والعبث، بل هو جد كله، لأنه كلام أحكم الحاكمين ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴾ أى إن هؤلاء المشركين – كفار مكة – يعملون المكائد لإطفاء نور الله وإبطال شريعة محمد ﷺ ﴿ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ أى وأجازيهم بكيد متين لا يمكن ردُّه حيث استدرجهم من حيث لا يعلمون[2] ﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾ أى لا تستعجل فى هلاكهم والانتقام منهم، وأمهلهم قليلا فسوف ترى ما أصنع بهم، وهذا منتهى الوعيد والتهديد.

الإعراب:

وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ	والسماء الواو حرف قسم وجر السماء مقسم به مجرور والجار والمجرور متعلقان بفعل القسم المحذوف، والطارق قسم أيضا معطوف على ما قبله، وما أدراك الواو حرف عطف، ما اسم استفهام فى محل رفع مبتدأ وجملة أدراك خبرها، ما الطارق ما استفهام مبتدأ وجملة أدراك خبرها، ما الطارق ما اسم استفهام مبتدأ الطارق خبرها، والجملة المعلقة بالاستفهام سدَّت مسد مفعول أدراك الثانى، والنجم بدل من الطارق أو خبر لمبتدأ محذوف كأنه جواب الاستفهام الوارد قبله وجملة إنْ كلُّ نفس لما عليها حافظ لا محل لها من الإعراب لأنها

(١) مختصر ابن كثير ٣/٦٢٨.

(٢) تفسير أبن السعود ٨/٤٣٨.

	جواب القسم وما بين القسم وجوابه اعتراض، إنْ مخففة نافية، كل مبتدأ نفس مضاف إليه ولما بالتشديد بمعنى إلا وعليها خبر مقدم، حافظ مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر كل، وقرئت لما بالتخفيف فاللاّم فارقه وأنْ مخففة من الثقيلة مهملة، وما زائدة وإلى هذا أشار ابن مالك فى الخلاصة فقال: وخففت إنْ فقلَّ العمل: وتلزم اللاّم إذا ما تهمل.
فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝	الفاء هى الفصيحة، اللاّم لام الأمر، ينظرْ مضارع مجزوم بالسكون، الإنسانُ فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة، ممَّ من حرف جر وما اسم استفهام فى محل جر بمن وحذفت ألف ما الاستفهامية والجار والمجرور متعلقان بخلق وجملة خلق من ماء دافق مستأنفة كأنه جواب سؤال مقدر وخلق فعل ماض مبنى للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو ومن ماء جار ومجرور متعلقان بخلق ودافق نعت لماء مجرور، يخرُج من بين الصلب والترائب، جملة يخرج نعت ثان أو حالية ومن بين جار ومجرور متعلقان بيخرج، الصلب مضاف إليه مجرور والترائب معطوف مجرور.
إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ	إنه إن واسمها، على رجعه جار ومجرور متعلقان بقادر والضمير فى إنه يعود على الله عزَّ وجَلَّ، اللاّم لام التوكيد قادر خبر إنَّ مرفوع، يوم ظرف متعلق برجعه، تبلى مضارع مبنى للمجهول. السرائرُ نائب فاعل مرفوع فما الفاء عاطفة، ما نافية، له جار ومجرور فى محل رفع خبر مقدم، من حرف جر زائد قوة مجرور لفظا مرفوع محلا مبتدأ مؤخر، ولا ناصر معطوف على قوة.

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ	والسماء، السماء مجرور بواو القسم، ذات نعت مجرور، الرجع مضاف إليه والأرض ذات الصدع عطف على ما قبله ونفس الإعراب.
إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ	الجملة لا محل لها من الإعراب، لأنها جواب القسم، إنَّ واسمها، اللام للتوكيد قول خبر إن مرفوع، فصل نعت مرفوع، الواو حرف عطف، ما حجازية تعمل عمل ليس، هو اسمها والباء حرف جر زائد، الهزل مجرور لفظا منصوب محلا خبر ما الحجازية.
إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا	إنهم إن واسمها، يكيدون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل، والجملة فى محل رفع خبر إنَّ، كيدا مفعول مطلق منصوب، وأكيد الواو عاطفة، أكيد فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر، كيدا مفعول مطلق منصوب، فمهل الفاء هى الفصيحة، مَهِّل فعل أمر مبنى على السكون والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت، الكافرين مفعول به منصوب بالياء، أمهلهم فعل أمر مبنى على السكون والفاعل ضمير مستتر، والضمير "هم" فى محل نصب مفعول به، رويدا نصب على المصدر.

من ألوان البلاغة

لقد اشتملت السورة الكريمة على بعض صور البيان والبديع نذكر منها:

❖ الكناية فى قوله تعالى ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ حيث كنىَّ بالصلب عن الرجل وبالترائب عن المرأة، وهذا من Hلطف الكنايات.

❖ الطباق بين "السماء والأرض" وبين "فصل.. هزل"

❖ الجناس فى قوله تعالى ﴿ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴾ وهو جناس اشتقاق.

❖ الاستفهام فى قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴾ وغرضه التفخيم والتعظيم.

❖ الإطناب فى قوله تعالى ﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾ وذلك بتكرار الفعل مبالغة فى الوعيد.

❖ السجع الجميل غير المتكلف فى السورة كلها.

❖ ❖ ❖